ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Hamid Hashim Dhabih Al-Taie

Imam Al-Kadhim College for Humanities University Wasit Departments

Email: Hamed.hashem@alkadhum-col.edu.iq

Keywords:

The Diwan Letters, Poetic News, Abu Ishaq Al-Sabi

CC BY

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 14.Aug.2025

Accepted 17.Sep.2025

Published 25.Nov.2025

The poetics of news in the Diwani letters in the fourth century AH: Al-Sabi's letters as a model

A B S T R A C T

The letters of Abu ishaq Al-Sapi represent an exemplary model of Arabic prose in the 4th century AH where he succwssfully transformed historical and administrative reports into literary texts characterized by poeticism and eloquence. AL –Sabi employed diverse stylistic techniques such as narrative storytelling, linguistic deviations infusing his texts with an aesthetic and rhythmic quality akin to poetry. He also drew upon Arabic-Islamic heritage-including the Quran, proverbs, and poetry- to reinforce the political discourses legitimacy and psychological impact. His letters skillfully utilized rhetorical devices and repetition, enhancing persuasion and emotional engagement, particularly amonq rulers and ministers. Thus, his correspondence transcended mere informational function to become a literary art that combined entertainment and persuasion, establishinq a model for studying the rhetoric of classical Arabic prose and its influence on shaping political and literary discourse.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol61.Iss2.4676

شعرية الخبر في الرسائل الديوانية في القرن الرابع الهجري رسائل الصابي أنموذجا

م.د. حامد هاشم ذبيح الطائي

كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإنسانية الجامعة / أقسام واسط

المستخلص

تمثل رسائل الصابي أنموذجا متميزا للأدب الترسلي في القرن الرابع الهجري؛ إذ نجح في تحويل الأخبار والوقائع الإدارية والتاريخية إلى نصوص أدبية تتميز بالشعرية، فقد اعتمد على أساليب متنوعة مثل: (التكثيف الدلالي، والانزياحات البلاغية، والسرد القصصي، والمجاز اللغوي)، مما أضفى على نصوصه الترسلية طابعا جماليا وإيقاعيا اقترب كثيرا من الشعر، كما استلهم التراث الإسلامي والعربي؛ لتعزيز شرعية الخطاب السياسي، وتأثيراته النفسية، وتميزت رسائله بالتوظيف الذكي للأساليب البلاغية مما عزز المشاركة الوجدانية والإقناع لدى المتلقي؛ لاسيما المتلقي الرسمي، وبذلك تجاوزت رسائله الوظيفة الإخبارية إلى فن أدبي مميز جمع بين (الإمتاع والإقناع)؛ لتصبح نموذجا ترسليا يُدرس في بلاغة النثر العربي القديم، وتأثيره في تشكيل الخطاب الأدبي والسياسي.

الكلمات المفتاحية: الرسائل الديوانية ، شعرية الخبر ، أبو إسحاق الصابي.

المقدمة

تمثل الرسائل الأدبية في التراث العربي من أهم الأنواع النثرية التي جمعت بين البلاغة والفن، ومن أبرز كتّابها (أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي، ت ٣٨٤هـ)؛ إذ يُعدُّ من أشهر كُتاب القرن الرابع الهجري إلى جانب أساتذته (ابن العميد، والصاحب بن عباد)، إذ تميزت رسائله بالجمع بين الشعرية والخبرية بأسلوب بلاغي رفيع جمع بين دقة الخبر وجمالية التعبير، وقد حظي ديوان رسائله باهتمام كبير من الدارسين؛ لاحتوائها على مزيج فريد من الشعرية والسرد التاريخي، مما جعلها أنموذجا مائزا لدراسة (شعرية الخبر)، التي تهدف إلى تحويل المادة الخبرية إلى نصوص أدبية تحمل سمات الشعر من حيث التكثيف الدلالي، والصور البلاغية، والانزياحات اللغوية. يهدف هذا البحث إلى دراسة شعرية الخبر في رسائل أبي إسحاق الصابي، من خلال الكشف عن الآليات البلاغية التي استعملها لتحويل الأخبار الإدارية، والوقائع التاريخية إلى نصوص أدبية عالية القيمة الفنية، يُستعمل فيها الأساليب البلاغية والصور البيانية التي تقترب من الشعر في دلالاتها وإيقاعاتها.

مشكلة البحث

تتمحور مشكلة البحث في التساؤل الآتي: كيف تحولت الأخبار التاريخية والإدارية في رسائل الصابي إلى نصوص نثرية تتميز بالشعرية المكثفة؟ وما الأساليب البلاغية الداعمة التي استعملها لتحقيق شعرية الخبر؟

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في تسليط الأضواء على جوانب مهمة من بلاغة النثر العربي القديم، كما يسهم في فهم أعمق لآليات تحويل الأسلوب الخبري إلى نصوص نثرية متميزة، مما يثري الدراسات النقدية الحديثة في تحليل الخطاب النقدي والبلاغي.

المطلب الأول:

١- مفهوم الخبر وشعريته في البلاغة العربية

الخبر في اللغة "هو علمك بالشيء تقول: خَبِرت الأمر أخبره أذا عرفته على حقيقته وخبرته بكذا، وأخبرته: نبأته" (ابن منظور: مادة خبر). أما الخبر في الاصطلاح فقد كان أحد الموضوعات التي تنازع البحث فيها كل من البلاغيين والنحاة، فمن البلاغيين من عرفه بقوله: "والخبر كل قول أفدت به مستمعه مالم يكن عنده" (بن وهب الكاتب، ١٩٩٧م: ١١٣). ومن النحاة من عرفه بقوله: "بأنه ما جاز على قائله التصديق والتكذيب" (المبرد، أبو العباس: ٣/ ٨٩). والخبر في أشهر تعريفاته هو: الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب (عباس، فضل حسن، ١٩٨٩م: ١٠١)، وتخرج من هذا التعريف أخبار الله عز وجل وأخبار الرسول الأكرم (ص) والبديهيات؛ لأنَّها لا تحتمل الصدق والكذب.

أغراض الخبر

نظر أهل البلاغة إلى الخبر من حيث المرمى والمقاصد، فهم يرون أنَّ الأصل فيه يُساق لغرضين هما: الأول: فائدة الخبر، أي إفادة المخاطب بالحكم الذي تضمنته الجمل، ولم يكن له علم به.

الثاني: لازم الفائدة، ويقصد بها إفادة المخاطب بأنَّ المتكلم عالم بالخبر، علما إنَّ هذا الغرض لا يقدم جديدا للمخاطب. (القزويني، ٢٠٠٤م، ص ٢٧).

ويخرج الأسلوب الخبري عن حقيقته إلى أغراض مجازية متشعبة ومتعددة، هي في حقيقتها نقل للمشاعر والإحساسات التي تجيش بها نفس المبدع، (عرفة، عبد العزيز، ١٩٨٤م، ص ٧٥/١)، فتتنوع الأغراض وتتشعب؛ لأنَّ "تصوير النوازع الدفينة

في النفس البشرية تمتنع عن التقييد والضبط الحصري"، (أنقار، محمد، ٢٠٠٠م، ص ١٠٠)، وتبعا لذلك تنوعت الأغراض التي تساق إليها الأساليب الخبرية التي يمكن فهمها عن طريق السياق وقرائن الأحوال.

أما شعرية الخبر فيمكن تحديدها بأنَّها الطريقة التي يُقدم بها الخبر في النصوص الأدبية، شعرا كانت أم نثرا؛ إذ يتجاوز الأسلوب الخبري الوظيفة الإخبارية المباشرة، ليصبح أداة للتعبير عن الإحساسات والمشاعر، ويسهم في بناء الصورة الشعرية والنثرية فهو يتضمن عناصر فنية مثل الخيال، والأسلوب، واللغة، والصورة ، مما يضفي عليه جمالية خاصة.

لقد كان الأسلوب الخبري عند الصابي من أبرز الخطابات الأدبية التي جعلته يبدع في رصد مختلف الموضوعات والأحداث هذا من جانب، وتمرير خطاباته إلى السلطة من جانب آخر؛ لذا كان هذا الأسلوب أحد روافد الكاتب المهمة في تقديم معرفة موسوعية متعددة، معبرا في الوقت ذاته عن رؤية الكاتب ومواقفه من المجتمع. "فالأخبار التي تمزج بين الواقع والتخييل هدفها تصوير الواقع بكل أصنافه وقيمه المختلفة، عن طريق تقديم معرفة شاملة تعبر عن الإنسان، وترصد مشكلاته الحقيقية، فلذلك نجد الأسلوب الخبري في رسائل الصابي يحمل في طياته وظيفة تداولية عملية ونفعية تتحد مع وظيفته الجمالية، وهي وظيفة "مغلفة أو مقنعة لا يصطدم بها القارئ، وإنما يتدبر أسرارها بعناء في خلال تأمله للخبر" (القاضي، ١٩٩٨م، ص ٦٦٢).

٢- تعريف الشعرية من الشكلانيين الروس إلى المنظورات الحديثة:

يرتبط مفهوم الشعرية (poetics) بفنية العمل الأدبي وجماليته، وتهدف إلى البحث عن الخلق والإبداع والتغيير الذي يحقق الفرادة والتميز في التأليف، وهي من المصطلحات الأدبية المهمة في حقول الدراسات الحديثة، واللسانيات، والمناهج النقدية، التي تبحث عن قوانين الخطاب الأدبي، وعن الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الأعمال الأدبية. وهي تعمل على تحطيم اللغة الاعتيادية وتعيد بنائها مرة أخرى في إنساق عاطفية وتركيبية جديدة، فهي لغة غرابة وتكثيف تؤلف ما لا يأتلف، وتعبر إلى حيث السحر والإدهاش، وتستعمل كل ما تتيحه اللغة من إمكانيات وفضاءات كالاستعارة، والمجاز، والرمز، والأسطورة، وكل ما توحي به من تجريد وإمكانيات فكرية وجمالية، كما يترابط في اللغة الشعرية المستوى الدلالي مع المستوى الصوتي، فهي تمثل بنية وظيفية لا يمكن فهم أحد عناصرها خارج نظامها المتكامل (مبارك، محمد رضا، ١٩٩٢م، ص ١٥-١٦).

وعند البحث عن قوانين الإبداع سنصطدم بعدة مصطلحات لمفهوم الشعرية، كالتي تظهر في شعرية أرسطو، ونظرية النظم للجرجاني (ت٤٧١هـ)، والمحاكاة والتخييل للقرطاجني (ت٦٨٤هـ). أما فيما يتعلق بثبات المصطلح وتعدد المفاهيم الذي ينتج عن الاختلاف في التصور الذي ينشأ عن تحديد السر في الإبداع ومعرفة قوانينه، وهو ما يبرز في نظرية التماثل لدى جاكبسون، ونظرية الانزياح عند كوهين، فضلا عن نظرية الفجوة عند أبو ديب؛ إذ أنَّ هذه النظريات في مجملها تسعى إلى وضع نظرية عامة للأدب عن طريق اكتشاف القوانين التي ينحو عن طريقها الخطاب اللغوي نحو الأدبية، ولا يعنى هذا أنَّ الشعرية تهتم بتشخيص القوانين الأدبية لخطاب لغوي معين؛ وإنما يكون مدار اهتمامتها مجمل العملية الأدبية بوصفها إبداعا، مع مراعاة خصائص كل جنس أدبي وفوارقه النوعية ومقوماته الأدبية، (الزهيري، علي عزيز، ٢٠٠٧م، ص٢).

وقد اختلف النقاد العرب والأجانب من القدماء والمحدثين حول تحديد مصطلح (الشعرية)، وإيجاد المفهوم الواضح، والتسمية الثابتة، فقد سماها توفيق بكار (بالإنشائية)، وأطلق عليها سعيد علوش والغذامي (بالشاعرية)، أما جابر عصفور ومحمد الماشطة فسمياها (علم الأدب)، في حين كانت تسمية (الفن الإبداعي) عند محمد البقاعي وجميل نصيف، بينما وصفها علي الشرع (بنظرية الشعر)، وآخرون أطلقوا عليها مصطلح (الأدبية) كتوفيق الزيدي، ومنهم من أرجعها إلى

الأصل اليوناني (البويطيقا) مثل خلدون الشمعة، فعلى الرغم من اختلاف هذه التسميات لدى النقاد التي تعكس اختلافهم الفكري والثقافي؛ إلا أنَّ معناها يكاد يكون واحدا، فالشعرية "ليست إلا علما للغة الخاصة ذات الأغراض الجمالية المقصودة بذاتها" (اسكندر، يوسف، ٢٠٠٨م، ص ١٢٧).

وبما أنَّ اللغة تمثل المنظومة الرئيسة للنص الأدبي؛ لذا نجد أنَّ مفهوم الشعرية تدور حولها، "إذ يمكن تطويع لغة النثر لتكون لغة شعر عن طريق الانزياح كما يرى جان كوهين أو عن طريق الانحراف كما يرى ياكوبسن والشكلانيون الروس، أو الفجوة– مسافة التوتر عند كمال أبو ديب" (مبارك، محمد رضا، اللغة في قلب الصراع، ١٩٩٠م، ص ٩٥). فعلى ما يبدو أنَّ للشعرية مدًا كبير جدا، والدراسات والنظريات التي تناولتها فيها من الاتساع والكثرة، مما يصعب تناول كل ما ذكر عنها، أو الإحاطة بها؛ لكن قدمنا في هذه الأسطر إلمامة سريعة بأهم المصطلحات والنظريات والمفاهيم القديمة والحديثة التي سيعتمدها البحث في دراسة رسائل الصابي.

المطلب الثاني: الخبر بين التقريرية والتخييل في رسائل الصابي:

شكل الأسلوب الخبري أحد النصوص السردية المهيمنة في إبداعات الصابي النثرية؛ لاسيما في رسائله الديوانية، لذا سنسلط الأضواء على تحليل بعض الرسائل الرسمية، واستخراج القواعد الجمالية التي انبنى عليها النص النثري، فالأسلوب الخبري عنده كان من أبرز الخطابات التي اتسمت بالشعرية؛ إذ زاوج عن طريقه بين الإفادة والإمتاع، بفضل الأخبار التي مزجت بين الواقع والتخييل، في محاولة من الكاتب لإبراز الوظيفة الجمالية والفنية التي لا يصل إليها القارئ، إلا بتدبر أسراره؛ لتحقق له الدهشة والارتواء المعرفي، "فالبحث في الشعرية يتصل عموما بإبراز الوظيفة الجمالية للنص الأدبي، أو بتعبير آخر: تحديد مصوغات أدبية، وشروطها الفنية والكيفية التي تجعل من رسالته اللغوية عملا فنيا"، (ياكبسون، رومان،، ١٩٨٨م، ص ٢٤)، كالذي يظهر في الرسالة الرسمية:

"وصل كتاب مولانا الأمير عضد الدولة – أطال بقاءه– مبشرا بما وليه الله به من الفتح العظيم والمنح الجسيم، في الإيقاع بطوائف القُفص والبلوص، ومقتصا حالهم كانت في المقام على المعهود من كفرهم وضلالهم، وعيثهم وفسادهم، واستحلالهم ما حرم الله من أموال أهل الملة والذمة ودمائهم، وما كان بلغه–أيده الله– في إظفاء نائرتهم، وإخماد جمرتهم، واستنزالهم عن معاقلهم، والإيغال في طلبهم، والنكاية فيهم، والإثخان لهم، حتى كفّوا ونزعوا، واتعظوا واتزعوا. وافتتح – أيده الله – من بلادهم منوجان، وألجأ من أمهلته المنية منهم إلى الأمان، فوجدوه عنده مبذولا لمن اعتصم به ممهدا لمن جنح إليه، وإنهم تمسكوا بذمامه تمسكا لم يزالوا فيه آمنين، ولعقباه حامدين إلى أن نزت بهم البِطنة، وأدركتهم الشِّقوة، واشتاقوا إلى العادة السيئة، والطعمة الخبيثة، فعادوا إلى العيث في البلاد، والسعي في الفساد ونقضوا ما كانوا أمُروه لأنفسهم، ونكثوا فعاد النكث عليهم، وعوّلوا على التعلق بما كان باقيا في أيديهممن جبالهم المنيعة ومعاصمهم الحصينة، وأنه – أيده الله – قرر رأيه على التوقّل فيها، وأمضى عزمه في التوغّل إليها؛ فجرد –أدام الله عِزّه – إليهم من قُوّاده المنصورين، وأوليائه الميامين، مَن حَلَّ منهم بالعقوة، ثم ناهضهم إلى الذروة، حتى افتُتحت تلك القلاع، وافتُرعت أي افتراع"، (الصابي، أبو إسحاق، ٢٠١٧م، ص ٥٦–٥٧).

تُعدُّ الأساليب الخبرية من أبرز الأدوات البلاغية في النثر العربي القديم؛ إذ تسهم في نقل المعلومة، وتوجيه المتلقي عن طريق آليات لغوية متعددة، وفي هذه الرسالة يبرز الصابي هذه الأساليب بشكل مميز، لا لتؤدي وظيفتها الإخبارية فحسب؛ بل لإضفاء طابعا بلاغيا على النص، لتعزيز قوته التعبيرية والتأثيرية، فمن الأساليب الخبرية المستعملة هنا يظهر الأسلوب الخبري القصصي الذي يسمى بـ(السرد التاريخي)؛ إذ يُستخدم هذا الأسلوب لسرد الحكي بشكل تفصيلي ومتسلسل، مما يخلق لدى المتلقي إحساسا بالتشويق والتوتر، فالحكي يُعدَّ نموا تدريجيا للخبر، ومجموعة الأخبار تتناسق فيما بينها

وتتآلف لتشكل السرد، الذي يتميز عن الخبر بتنوع الشخصيات واتساع الفضاء والزمن، وتعدد الأخبار، على غرار الأسلوب الخبري الذي يعنى بـ "بساطة البنية حيث يمكن أن تختزل الحركة السردية غالبا في ثنائية رئيسية واحدة؛ الطلب والاستجابة أو الطلب وعدم الاستجابة فعل ورد فعل بينهما رابط سببي أو تعاقبي" (ناظم، حسن، ١٩٩٤م، ص ٣٦٠)، فقد أظهر الكاتب دلالة هذا النص عن طريق تقديم الحدث كقصة متصلة الحلقات، بدءًا من التخطيط الوارد في عبارة (قرر رأيه)، ثم التنفيذ بقوله: (أمضى عزمه)، وأخيرا النتيجة الواردة في قوله: (فجرد...قواده)؛ إذ يشعر القارئ بأنَّه جزء من مجريات الأحداث، مما يعمق التفاعل مع النص.

أما النوع الآخر من الأساليب الخبرية التي وظفها الصابي في هذا النص، فيبرز الخبر الإنشائي القائم على المزج بين الإخبار والدعاء، مما يضفي عليه طابعا دينيا وعاطفيا، كما في قوله: "...وصل كتاب مولانا الأمير عضد الدولة – أطال بقاءه – مبشرا بما وليه الله به من الفتح العظيم"، ففي عبارة (أطال بقاءه) دعاء يضفي قدسية وشرعية على الأمير البويهي عضد الدولة، أما عبارة (بما وليه الله به) فهي تذكير الجمهور بأنَّ النصر على الأعداء هو من عند الله عزوجل، وليس مجرد إنجاز دنيوي يحسب لشخص محدد، فالصابي يوجه انتباه القارئ نحو الأثر والبعد الإلهي للأحداث، مما يعزز القبول النفسي للأسلوب الخبري المستعمل هنا، فتشكيل الأسلوب الخبري في الصيغة التي هو عليها، يدل على أنَّ المرجع يعاد تشكيله ورسمه وفقا لمقتضيات الشعرية التي فيها؛ "إذ يتحرر الراوي من قيد الدقة في النقل والإسناد، ويلجأ إلى ابتداع أحداث جديدة، أو إجراء تحوير في أخرى استجابة لأحوال الذين يروي لهم" (عبدالله، إبراهيم، ٢٠٠٠م، ص٢١٩)، وعليه فالأسلوب الخبري ذو وظيفة تمثيلية، لأنَّه يركب ويعاد تركيبه، ويبدع ويعيد تأسيس الأحداث والشخصيات والوقائع .

في حين كان (التقرير المفصل للأحداث) الأسلوب الخبري الثالث المستعمل في هذا النص الرسمي؛ إذ استعمله الكاتب لوصف الأحداث والوقائع بتفاصيله الدقيقة، كما في قوله: "...واستحلالهم ما حرم الله من أموال أهل الذمة ودمائهم"، ففي عبارات التعداد (أموال، ودمائهم)، تبرز فظاعة الأعداء وكثرتهم، ثم سعى الكاتب إلى الربط بين (الملة والذمة) ليشمل جميع فئات المجتمع المظلومة، مما يعمق التعاطف والتكاتف بين الكاتب ومجتمعه، وبالنتيجة يكون أثر الخبر أكثر قوة وواقعية؛ إذ يصبح القارئ شاهدا على الظلم.

أما الخبر المجمل (الإيجازي المعبر) فقد استعمله الصابي في المواطن التي تحتاج إلى إيجاز قوي ومتين، فمن ضمن مميزات الخبر الإيجاز، "الذي يكون محدودا في بنيته الحكائية والسردية، فنهايته تحيل على بدايته بطريقة مباشرة وسريعة، وهذا الإيجاز يجعله ملتبسا غامضا، غير مكتمل، فيكون الإيحاء هو السمة الغالبة عليه" (جبار، سعيد، ٢٠٠٦م، ص١٧)، مثل الذي ورد في قوله: "حتى كفوا ونزعوا، واتعظوا واتزعوا"، ففي عبارة "كفوا ونزعوا": إيجاز معبر عن الاستسلام المادي للأعداء (إلقاء السلاح)، وفي عبارة "اتعظوا واتزعوا"، إيجاز يعبر عن الاستسلام النفسي للعدو (التوبة)، فالأثر البلاغي للخبر يُقدم نتيجة المعركة بكلمات وعبارات قليلة؛ لكنها شاملة مما يعزز الإقناع لدى المتلقي.

بينما كان (الخبر المؤكد) الأسلوب الأخير المرصود في هذا النص، فقد استعمله الصابي لتثبيت الحقائق ورفع الشك عند السامع، كما في قوله: "...وإنَّهم تمسكوا بذمامه تمسكا لم يزالوا فيه آمنين، ولعقباه حامدين"، ففي عبارة "تمسكا لم يزالو فيه" توكيد يفيد استمرارية الأحداث آنذاك، وفي عبارة "لعقباه حامدين" تأكيد بالدعاء على لسان الأعداء أنفسهم، فكان الأثر الخبري لهذه المؤكدات هدفها إزالة الشكوك حول صدق الخبر ومضمونه بشكل فني هذا من جانب، ويجعل القارئ يقتنع بحسن سياسية الأمير البويهي من جانب آخر.

والمادة المعروضة تبرز أنَّ أساليب الصابي الخبرية الواردة في هذا النص الرسمي، لم تكن محايدة؛ بل مهندسة بعناية كبيرة لتؤدي وظائف: (السرد القصصي: لخلق الإثارة والتشويق)، و(الأسلوب الخبري الإنشائي: لتعزيز الشرعية الدينية للأمير)، و(أسلوب التقرير المفصل: لتحقيق الصدق والواقعية)، و(الخبر الإيجازي المعبر: لتعميق الإقناع للمتلقي)، أما

(التوكيد: فكان لترسيخ اليقين)، وهكذا أصبح النص الرسمي أنموذجا للتوظيف الأمثل للأساليب الخبرية في تحقيق أهدافه الدعائية والسياسية، فضلا عمَّا تقدم فقد تعاونت أساليب بلاغية متنوعة في نقل الخبر وتحقيق شعرية النص النثري، مثل:

١-المجاز اللغوي الذي كان له دورا مميزا في تصوير الأحداث، فقد استعمله الصابي لتحويل الوقائع العسكرية إلى مشهد حيوي يفيض بالحركة كما ورد في قوله: "والإيغال في طلبهم، والنكاية فيهم والإثخان لهم"؛ إذ حملت كلمة (الإيغال) دلالة مجازية عكست استمرار جيش الدولة البويهية في مطاردة أعدائهم بأسلوب فني يشبه الغوص في أعماق الأرض، بينما كانت (النكاية والإثخان) كناية عن التدمير والضعف، كما أنَّ وصف الكاتب للأعداء بـ"طوائف القفص والبلوص"، يشير إلى همجيتهم وتوحشهم عن طريق تشبيههم بالحيوانات المتوحشة، مما يعمق النفور النفسي منهم، فالعلاقة الفنية بين أساليب الجمل الخبرية، وهدفها في الأغراض المجازية تشهد بالديباجة الممتعة والرونق البهي، في السبك وصفا وبرهانا وإيضاحًا موحيًا، فضلا عن دلالاتها على نمو العلاقة البنوية الترابطية بينها وبين الأنواع التعبيرية المتنوعة التي تخدم سياق الهدف من توظيف الأساليب المجازية الخبرية، (جمعة، حسين، ٢٠٠٥م، ص٦٤).

٢-الكناية والانزياح الدلالي في النص الترسلي؛ إذ اعتمد عليها الكاتب لتجنب المباشرة، بمعنى أنَّ "الانزياح هو اختراق مثالية اللغة والتجرؤ عليها في الأداء الإبداعي، بحيث يقضي هذا الاختراق إلى انتهاك الصياغة التي عليها النسق المألوف أو المثالي، أو العدول في مستوى اللغة الصوتي والدلالي عمَّا عليه هذا النسق" (الددة، عباس، ٢٠٠٩م، ص ١٥)، كما في قوله: "واستحلالهم ما حرم الله من أموال أهل الملة والذمة ودمائهم"، إذ كنى الصابي عن السلب والقتل بـ(استحلال المحرمات)، مما أضفى على النص طابعا دينيا وأخلاقيا على الأفعال، وجعل القارئ يتفاعل عاطفيا مع المظلوم، ثم ظهرت الكناية مرة أخرى بقوله: "حتى كفوا ونزعوا، واتعظوا واتزعوا"، فالفعل (نزعوا) يشير مجازا إلى الاستسلام ونزع السلاح؛ لكنه يحمل في الوقت ذاته معنى نفسيا هو التخلي عن العناد، والرجوع إلى سلطة الأمير عضد الدولة.

٣-التكرار والإيقاع الداخلي، فقد انتج التكرار في هذا النص الرسمي إيقاعا موسيقيا يقترب من الشعر، كما في قوله: "وأمضى عزمه في التوغل إليها...حتى افتتحت تلك القلاع، وافترعت أي افتراع"، إذ يتكرر الجذر (فتح)، والجناس الناقص في كلمات (القلاع، وافتراع)، مع وجود تغيير طفيف، مما يعزز إحساس الانتصار المتوالي، فالجرس الموسيقي الناشئ عن الجناس يستلزم ذائقة مرهفة وحسا موسيقيا يجب أن يتمتع بها الأديب؛ "لأن مثل هذا الأسلوب في نظم الكلام يتطلب المهارة والبراعة، وقد لا يقدر عليه إلا الأديب الذي وهب حاسة مرهفة في تذوق الموسيقى اللفظية" (أنيس، ١٩٩٧م، ص٤٥)، كذلك يستعمل الكاتب أسلوب التكرار للتأكيد على عاقبة الأعداء، كما في قوله: "فعادوا إلى العيث في البلاد، والسعي في الفساد"، فتكرار حرف العين في عبارة "عادوا العيث" يخلق إيقاعا صوتيا عكس فظاعة فعل الأعداء.

٤-الأساليب الإنشائية والتعبيرية، التي وظفها الكاتب لتحريك مشاعر المتلقي، مثل الجمل الاعتراضية الدعائية: "أطال بقاءه، وأيده الله، وأدام الله عزه..."، ولتكون أدعية تضفي القدسية والتوقير على الأمير البويهي، وتجعل القارئ يشارك في التبجيل والطاعة، فضلا عن ذلك فقد استعمل الكاتب أسلوب الشرط لخلق الترقب الوارد في قوله: "وإنهم تمسكوا بذمامه...إلى أن نزت بهم البطنة"؛ إذ يبرز التحول المفاجئ من الأمن والأمان إلى التمرد عن طريق الأداة (إلى أن).

٥-الانزياح عن المألوف، فقد ابتعد النص عن التقريرية المباشرة لصالح الانزياحات النثرية الخلاقة مثل عبارة "نزت بهم البطنة"، فكلمة "نزت" تستعمل عادة للسوائل؛ لكنها كانت هنا تشير إلى امتلاء النفوس بالجشع، مما انتج صورة بصرية موحية، فتميز الكاتب يتحقق بابتعاده عن النمط المألوف في تركيبه الدلالي للجمل، وخروجه عن السنن المتعارف عليها، فبذلك يحقق إيصال الفكرة بالطريقة التي يطمح إليها، ويبعد الرتابة عن أسلوبه، فيحقق الإثارة والمتعة للمتلقي، مما يفتح المجال للتأويلات والتفسيرات وتوالد المعاني، فيصبح بذلك نصا منتجًا متجددا، وهو ما يسمى بالانزياح الاستبدالي، أو الدلالي، (آمال، بلحوت، ٢٠٢٢م، ص ٥٣٤)، كذلك يظهر الانزياح الدلالي في وصف المعركة، في قوله: "حل منهم

بالعقوة، ثم ناهضهم إلى الذروة"، فقد صور الكاتب المواقع العسكرية كمرتفعات جبلية كبيرة، مما منح الانتصار على الأعداء بُعدا أسطوريا.

ومما تقدم يظهر أن شعرية النص النثري في هذا النص الرسمي تنبع من توظيف أسلوب الخبر المجازي بكثافة، عن طريق: (المجاز: لتحويل الوقائع إلى صور حية تفيض بالحركة)، و(الكناية: لإضفاء العمق الأخلاقي والديني على شخصية الأمير)، و(التكرار: لتعزيز التأثير والإقناع)، و(الانزياح: لخلق الانزياحات الدلالية)، و(الأساليب الإنشائية: لتحفيز المتلقي للمشاركة الوجدانية). "فعامة الصور الشعرية التي تميزت بها الرسائل الأدبية إنما تميزت بها لأن وضع الناثر فيها يتماهى ووضع الشاعر"، (بن رمضان، صالح، ٢٠٠١م، ص٥٩٠)، وهكذا تجاوز النص النثري التقريرية التاريخية إلى عمل فني تمتزج فيه الأخبار بالشعرية.

المطلب الثالث: التشكيل البلاغي والبنية التخيلية للخبر:

١: تحول الحدث الواقعي إلى نص ذات طابع تخيلي عن طريق دلالات الخبر المجازية:

كتب الصابي عن نفسه إلى الملك عضد الدولة جوابا عن كتابه بقتل بختيار بن معز الدولة وانهزام أبي تغلب حمدان والظَّفَر بجماعة من القوّاد:

"...فأما ما شرحه مولانا الملك السَّيِّد _أدام الله علاءه، وتمم نعمائه _من تقسيم أعدائه بين قتيلٍ صار إلى النار، وهزيمٍ تقنع بالعار، فأيديهم أوكِت، وأفواههم نفخت. ولولا الشقاءُ المكتوب عليهم، والخزي المعصوب بهم، لاتعضوا بغيرهم ممن مضى قبلهم، وسلموا الأمر لمستحقه دونهم، وعرفوا حق المعرفة أنفسهم، ووقفوا بها عند حدهم وقدرهم، فقد قيل إنَّه لا ضيعة على من عرف قدره، وكذلك لا نجاة لمن عدا طوره، ولكن الحين يُصمّ ويُعمي، ويُبق، ويُردي.

وقد عظّم الله شأنَ مولانا _ أطال الله بقاءه _عن أن يفخر له بالظهور على من ينحط خطُره عن خطره، وينقص وزنه عن وزنه، وإنما المخر بالتفضيل الذي لم يدع له في الأرض نظيرا يُدانيه، ولاقرينا يناوئه، حتى صارت فتوحُه لا تُعاب إلا بانتزاعها ممن ليس بضريبٍ ولا قريب، وإذا هُنىء الإنسان بالوصول إلى ما لم يكن له، فمولانا الملك السَّيِّد _ أطال الله بقاءه _ يهنأ باستدراك ما هو له، إذ قد مَلّكه الله أقطار بلاده، ونواصي عباده، فكلّ حاصلٍ من ذلك له فمستقرٌ عند مُستحقه، وكلّ شاذٍ عنه فغلول، في يدٍ متطرقة، بارك الله له فيما أعطى وأجزل، وسوّغه ما منح وخوّل"...، (الصابي، أبو إسحاق، ٢٠١٧م، ص ٢٧٧).

يُبرز النص الرسمي تحولا واضحا من الواقع التاريخي (انتصار الأمير البويهي عضد الدولة)، إلى نصٍ يعتمد على المجاز البلاغي واللغوي، مما يُضفي عليه طابعا أسطوريا مبالغا فيه، وعند التفتيش عن تحولات الحدث الواقعي إلى نص تخيلي يفيض بالدلالات المجازية التي محورها الأساسي تمجيد الملك البويهي، فالنص هو قطعة أدبية عربية قديمة، يُبرز أسلوبا خبريا متقنًا، والكاتب يمدح عضد الدولة ويبالغ في تمجيده وتبجيله، ويصوره كشخصٍ فريد في القوة والهيبة، فالخبر الواقعي هو امتلاك الحاكم البويهي السلطة العسكرية والسياسية، في حين كان التحول المجازي يتمثل بالتفرد الكوني، فقد منحه الله عزوجل كما يرى الكاتب السيطرة والقوة على أرضه وأعدائه، والعبارات الواردة في قوله: " لم يدع له في الأرض نظيرا يُدانيه، ولاقرينا يناوئه"، مبالغة مجازية تخرجه من بشريته إلى مرتبة خيالية أسطورية، أما في قوله: "مَلّكه الله أقطار بلاده"، تشبيه بسلطة الأنبياء والأولياء، وتؤكد سلطته وتفرده المطلق، فالخبر الواقعي الوارد هنا هو انتصار الملك البويهي على أعدائه، والتحول المجازي فيه هو تشخيص مصير الأعداء، فيصف الكاتب مصيرهم المحتوم إلى صنفين: الأول هالك مصيره العذاب والنار، كما ورد في قوله: "قتيل صار إلى النار"، فهو لا يقصد الموت الحرفي فقط، بل يشير إلى العذاب الأخروي وهي (استعارة دينية)، والثاني مهزوم اكتفى بالعار والخزي، الوارد في قوله: "هزيم تقنع بالنار"، فالعار هنا

ليس ملموسا؛ بل يصور كغطاء يُلقى على المهزوم بتشبيه بليغ يصور هزيمتهم بالعقاب الإلهي، فهم عاجزون عن الفعل أو الكلام كما في قوله: "فأيديهم أوكِت"، أي شُدت بالأغلال كصورة مجازية للقمع المطلق و"أفواههم نفخت"، استعارة تُحيل إلى إسكانهم قسرا، بعدها يلمح الصابي إلى أنَّ هؤلاء الأعداء لو كانوا حكماء، لاعترفوا بفضل الملك البويهي وسلموا له الفضل والأمر؛ لكنهم "الحين يُصمّ ويُعمي"، أي القدر أو الزمان أصمهم وأعماهم. إنَّ حرص الكتَّاب والأدباء في القرن الرابع الهجري على ابتكار وتجويد المعاني الجديدة، ورغبتهم في بيانها وإبرازها شديدة التأثير، وقوية الدلالة، هو الذي شجعهم على تجويد صورهم الأدبية، والإغراب في الخيال، وهو ما يُفسر كثرة استعمالهم للصور البيانية في فنهم الترسلي، (الحسن، غانم، ٢٠١١م، ص٣٥٣)، ويستمر الكاتب في المدح والتبجيل المفرط لمليكه، ويرفع من شأنه لدرجة أنَّه لا يحتاج حتى إلى الفخر بانتصاراته على أعدائه الضعفاء، فانتصارات الملك كما يراها الصابي لا تنتقد لأنَّها أخذت من أعداء لا يدانونه أو يعادلوه "انتزعها ممن ليس بضريبٍ ولا قريب"، ثم يُختتم النص الرسمي بحكمة تظهر أنَّ كل ما يحصل عليه عضد الدولة هو حقٌّ أصيل "مستقر عند مستحقه"، وما يأخذه الآخرون من دولته هو "غلول" استعارة أخلاقية عن السرقة، ثم يدعو له بالمزيد من العطاء "بارك الله له فيما أعطى وأجزل، وسوّغه ما منح وخوّل".

وبالوقوف على كيفية صنع المجازات لنصٍ تخيلي، يظهر أنَّ النص الترسلي بدأ من أحداث واقعية (صراع سياسي)؛ لكنَّ الكاتب استبدل أخباره الواقعية بأخبار مجازية من خلال رفع الملك إلى مرتبة أسطورية، وتحويل هزيمة الأعداء إلى عقاب مقدر، واستبدال الأسباب السياسية بالحتمية الدينية، واستعمال الصور المجازية من تشخيص وكناية واستعارة، لإنتاج عالم لغوي منفصل عن الواقع، وهذا التحول يجعل النص الرسمي أقرب إلى الخطابات الملحمية منه إلى إلى السرد التاريخي.

٢- استلهام التراث العربي الإسلامي (القرآن، الأمثال، الشعر) في رسائل الصابي

تُعدُّ رسائل الصابي من النماذج البارزة للأدب الديواني في العصر العباسي؛ إذ تميزت بجزالة ألفاظها وبلاغتها، فضلا عن استلهام التراث العربي الإسلامي ؛ لاسيما القرآن الكريم فقد أكثر من الاستشهاد بها في رسائله السياسية؛ لتأكيد شرعية سلطة الحاكم، أو لتوجيه رسائل ذات طابع أخلاقي مما جعلها نصوصا ترسلية غنية دينيا وسياسيا وأدبيا، ولقد تعددت طرقه في الاستشهاد بالقرآن الكريم، فهو تارة يستشهد بالآية بشكل كامل وينبه عليها، وتارة أخرى يقتبس جزءا من الآية القرآنية، ويجعلها حجة لكلامه. فقد برع كُتَّاب القرن الرابع الهجري في الاقتباس من القرآن الكريم والاستشهاد بآياته الكريمة في دوواين رسائلهم؛ إذ كانوا على صلة وثيقة بالنصوص القرآنية في ترسلهم، لسعة ثقافتهم وتنوع مصادرها؛ لذلك أكثروا في كتبهم الرسمية وغير الرسمية من الاقتباس من فيض القرآن الكريم، وحرصوا على استمداد صورهم وأفكارهم الحية من وحيه، (الحسن، غانم، ٢٠١١م، ص٢٠٠)، فمن النوع الأول الذي زخرت به رسائله السياسية، يقول في إحدها، فيصف حال القائد البويهي العاصي "بروزبهان بن ونداد خرشيذ" على سلطة معز الدولة، (الثعالبي، أبو منصور: ٢٩٩/٢)، وقد كرر الاستشهاد بأكثر من موضع فيها: "والله سبحانه تعالى يقول: (ومَن يقترِف حَسَنَةً نَّزِد لهُ فيها حُسنا إنَّ الله غفورٌ شكورٌ)"، (الصابي، أبو أسحاق: ٦، سورة الشورى، الآية ٢٣)، ويقول في نفس الرسالة أيضا: "قد حقت عليه كلمة الله إذ يقول: (ذلك بما قَدَمت أيديكم وأنَّ اللهَ ليسَ بظَلامٍ للعبيدِ)، وإذ يقول عزّ وجلّ: (وَوَجدُوا ما عَمِلوا حاضِرا ولا يَظلِمُ رَبُكَ أحدا)"،(الصابي، أبو إسحاق: ٦، سورة آل عمران، الآية ١٨٢، سورة الكهف، الآية ٤٩)، ويستشهد بكامل الآية أيضا في نفس الرسالة قائلا: "(إنَّ الله مع الذين اتقوا والذين هم مُحسنون)" (الصابي، أبو إسحاق: ٨، سورة النحل، الآية ١٢٨)، ثم يختم رسالته ببيان عاقبة هذا القائد العاصي الذي تكبر وتجبر، قائلا: "والله تعالى يقول فيه وفي أمثاله: (وضَرَبَ اللهُ مثلا قَرْيَةً كانت آمنةً مُطمئنَّةً يأتيها رِزقُها رَغَدا مِن كُلّ مكانٍ فَكفرت بأنعمِ اللهِ فأذاقها اللهُ لِباسَ الجوعِ والخوفِ بما كانوا يصنعُون)"، (الصابي، أبو إسحاق: ١٩، سورة النحل، الآية ١١٢).

أما الوجه الثاني الذي يدل على تشبع الصابي من المعاني القرآنية، فيظهر باستشهاده في معرض كلامه قائلا: "ولا ينكصون عن يوم معركة، ولا يلقون بأيديهم إلى التهلكة"، (الصابي، أبو إسحاق: ١٥٢)، فتعبير الكاتب مستوحى من قوله تعالى: "(انفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)"، (سورة البقرة، الآية ١٩٥)، وقوله في رسالة أخرى: "ويجعل كلمتنا عليه العليا، ويدنا فوقه الطولى" (الصابي، أبو إسحاق: ٥٤)، المستوحاة من قوله تعالى: "(وجعل كلمة الذين كفروا السُفلى وكلمةُ اللهِ العليا واللهُ عزيزٌ حكيمٌ)" (التوبة، الآية ٤٠)، وقوله في رسالة أخرى: "فلا تقبل على نبأ الفاسق ولا تفارق في بصيرة الواثق"، (الصابي، أبو إسحاق: ٢٣٣)، وفي القرآن "(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٍ بنبأٍ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)" (الحجرات، الآية ٦)، والكثير من هذه الاستشهادات القرآنية قد وردت في رسائل الصابي التي تدل على فهمه لمعاني القرآن، وحصافته وقدرته في وضعها في أماكنها المناسبة التي تدعم الاحتجاج والتمثيل.

أما توظيف الأمثال السائرة، فقد اعتمد الصابي على الأمثال العربية القديمة، لتوظيفها في سياقات مختلفة مثل: النصح والموعظة، لتأكيد التجربة والحكمة، كقوله: "من ترك الاختيار أُعتق من الإثم" (الصابي، أبو أسحاق: ٧٧)، أو في التسلية ببقاء الكبير عن فناء الصغير، يقول: "إن تسلم الجِلة فالسخلُ هدر"، (الصابي، أبو إسحاق: ٦٠٤)، أو في الحث على الصبر، كقوله : "اصبر على مضض الحلو والمر" (الصابي، أبو إسحاق: ١٣٤)، وفي ذم العجلة، يقول: "العجلة من الشيطان" (الصابي، أبو إسحاق: ١٥٦)، فالأمثال تُختصر فيها حكم الأمم وتجاربها، واستعملها الصابي لإضفاء القوة على أسلوبه الترسلي، وليكون غرضه الإقناع لأنَّ الأمثال تكون مقبولة ومألوفة عند المتلقي، مما يسهل عليه تقبل الفكرة، بسبب تميز الأمثال بالاقتصاد اللغوي، فهي تعبر عن المعاني الكثيرة بكلمات قليلة، لكن بشرط أن لا يكون المثل غريبا عن النص؛ بل مناسبا ومندمجا مع السياق بسلاسة، وهو ما عمل عليه الكاتب من خلال التوظيف الذكي للأمثال السائرة، فلا تكون حشوا زائدا، بل جزءا لا يتجزء من البناء البلاغي للنص الترسلي، فضلا عن مهارته في التنوع بين الأمثال القديمة والجديدة والدينية والدنيوية، وهذا ما أعطاها حضورا مميزا وقوة تعبيرية، جعلت من عباراته أكثر حكمة وإقناعا، وكان توظيفه لها ناتجا عن ذوق رفيع وثقافة واسعة.

أما توظيف الشعر، فقد تميزت رسائل الصابي بتنوع المصادر الأدبية وثراء الأسلوب، خاصة في الشعر العربي الذي استعمله كأداة بلاغية، لإضفاء جمالية على النص، وتقوية المعنى. فقد استشرت ظاهرة التضمين بشكل كبير في رسائل أعلام الكتاب في القرن الرابع الهجري، وكان من أبرزهم ابن العميد والصاحب بن عباد، والخوارزمي، والصابي، وبديع الزمان الهمذاني، وغيرهم من الكُتاب المشهورين، فقد اشتهر هؤلاء بحفظهم لأطايب الشعر العربي القديم، وغزارة ثروتهم اللغوية، فضلا عن نظمهم الشعر، (الحسن، غانم، ٢٠١١م، ص١٩١)، فمن الأغراض الشعرية في الرسائل الرسمية (النصح السياسي) فقد استشهد الصابي بأبيات شعرية؛ لتأكيد الحكمة السياسية، كاستخدام الأبيات الشعرية في رسائله الرسمية لتوجيه النصح للحكام، وتعزيز حججه، كتضمينه أبيات البحتري (ديوان البحتري: ٢/ ١٧) في إحدى رسائله الرسمية (الصابي، أبو إسحاق: ٣٢١):

وفرسان هيجاءً تجيش صُدورُها بأحقادها حتى تضيق دروعُها

تقتل من وِترٍ أعـــزّ نفوسهـا عليـها بأيدٍ ما تكـاد تطيعُــها

إذا احتربت يوما ففاضت دمؤها تذكرت القُربى ففاضت دموعها

ومن أغراض توظيف الشعر في رسائل الصابي هو (الاعتذار والمواساة) في رسائله الشخصية، لتلين موقف المتلقي، والاستشهاد بأبيات البحتري (ديوان البحتري: ١/ ٦)، أيضا للتعزية بأنثى، قائلا في إحدى رسائله في التعزية والمواساة (الصابي، أبو إسحاق: ٦١٥)

ولَعمري ما العجزُ عندي إلّا أن تبيتَ الرِّجال تبكي النساءَ

وفي رسالة تعزية أخرى، (الصابي، أبو إسحاق: ٦٢٥)، يورد الصابي أبيات لأبي فراس الحمداني (ديوان أبي فراس: ١٢٧) قائلا:

المرءُ رَهنُ مصائبٍ ما تنفضي حتى يُوارى جسمُه في رَمسهِ
فمؤجلٌ يلقى الردى في أهلـه ومعجلٌ يلقى الردى في نفسه

فقد أدخل الصابي الأبيات الشعرية في رسائله بشكل عضوي دون تكلف أو عناء، فعلى ما يبدو أنَّ الكاتب قد طاف في أرجاء ثقافة عصره التي أتيحت له، وكان ينهل منها بصبر وعمق، ولا يسمح لنفسه أن تفوته معلومة ما من الممكن الاستفادة منها في لوحاته الترسلية الفنية

٣- تأثير شعرية الخبر في المتلقي الرسمي (الخليفة، الوزير):

إنَّ شيوع كتابة الرسائل الأدبية وتطور فنونها البلاغية، كان أحد أبرز الظواهر الأدبية والبلاغية في القرن الرابع الهجري، فقد نالت نصيبا كبيرا على ما سواه من الألوان الأدبية الأخرى، بسبب لمسات كُتابها الفنية والبلاغية الذين وسموها بألفظ رصينة وأساليب بلاغية جزلة، إلى جانب ما اشتهروا به من دقة عالية في التصوير، وإنتاج المعاني والأخيلة الجديدة، ونظرا لما تضطلع به نتاجاتهم الأدبية والفكرية، وما يقوم به الكُتاب من أدوار في تسيير أمور الدولة المختلفة، واستجابةٌ للتطورات الاجتماعية والسياسية والأدبية التي حدثت منذ القرن الثالث الهجري في ربوع المجتمع الإسلامي، فقد ازدات الحاجة إلى الكُتاب البلغاء، للقيام بأعباء الإمارات الإسلامية وتسيير شؤونها الإدارية المختلفة، (ضيف، شوقي، ص٥٥٠)، وقد أصبحت الكتابة "لا تلتفت الملوك إلا إليها، ولا تعول في المهمات إلا عليها يعظمون أصحابها، ويقربون كُتابها فحليفها أبدا خليق بالتقديم وجدير بالتبجيل والتكريم"، (القلقشندي، ١٩٦٣م، ص٦/١) يقول الصابي في كتاب عن عز الدولة إلى الملك عضد الدولة جوابا عن كتابه بفتح جبال القفص والبلوص:

"ووصل كتاب سيدي الأمير عضد الدولة _ أدام الله عزه _ بما سهله الله به، وعلى يده، ويسره بيمنه وبركته، من فتح جبال القُفص والبلوص، وما بلغه _ أدام الله علوه _ من أهلها المعادين _ كانوا _ للملة، العادلين عن سبيل الله، حتى استنزلهم عن معقل بعد معقل، واستباحهم في موئل، وقتل حُماتهم، وأفنى كُماتهم، وأباد خضراءهم وغضراءهم، وعفى معالمهم وآثارهم، وألجأهم إلى الإذعان، وطلب الأمان، وتسليم الرهائن، والإفراج عن الذخائر، والاستقامة على سوء الدين، والدخول في عصمة المسلمين. وفهمته، وحمدت الله على ما منح الأمير عضد الدولة حمدَ المتحقق بما أفاء الله عليه، المغتبط بما أزله إليه، المشارك له فيما يخصه، المساهم له فيما يمسه، ووجدت الأثر فيه كبيرا بمؤثره، والتدبير جليلا كمدبره، وتلك عادة الأمير – أيده الله _ في الصمد للفاسد حتى يَصلح، وللمعتاص حتى يسمح، وعادة الله عنده في المعونة الضامنة للنجاح، والكافلة بالفلاح، فما ترد علي من جهته بشرى إلا كنت متوقعا لتالية لها أخرى، ولا أستقل منها بشكر ماضٍ سالف إلا ارتهنني بترقب حادثٍ مستأنف، والله أسأل أن يهنئه نعمته، ويملأه موهبته، ويبلغه في الدَّين والدنيا آماله"، (الصابي، أبو إسحاق: ٥٣-٥٤، القفص والبلوص: أمتان في بلاد كرمان).

يظهر النص الترسلي نموذجا رفيعا للبلاغة السياسية والأدبية في القرن الرابع الهجري؛ إذ يجسد تأثير شعرية الخبر على المتلقي الرسمي (الملك البويهي)، عن طريق آليات متنوعة بناء على السياق الأدبي والتاريخي، ومن هذه الآليات:

١-الرمزية الدينية والتأييد الإلهي للملك البويهي، فقد رُبطت الانتصارات العسكرية بـ(فضل الله عزوجل)، كما في عبارة " وما ترد من جهته بشرى إلا كنت متوقعا لتالية لها أخرى"، فالكاتب يُضفي شرعية دينية على سلطة عضد الدولة، ويحول الأخبار العسكرية إلى علامة للتوفيق الإلهي، مما يعزز ويؤكد من مكانته كملك مقتدر،

٢- التضخيم البلاغي للأحداث، من خلال وصف الانتصار بتفاصيل دقيقة ومبالغ فيها، مثل " استنزلهم عن معقل بعد معقل، واستباحهم في موئل، وقتل حُماتهم، وأفنى كُماتهم، وأباد خضراءهم وغضراءهم..."، فالصابي يضخم الأحداث العسكرية البسيطة لتصبح ملحمة تاريخية، مما يُرضي نزعة الملك إلى التمجيد. وهكذا نرى أنَّ النص الترسلي الذي يتميز بالشعرية، لا يأتي لإظهار أشكال أدبية جميلة فقط؛ بل هو معقود بهدف أعظم، وغاية أسمى، نراها منضوية في ذات الكاتب، وإحساساته، وبذلك تستوي الشعرية ليست كمضمونا أسلوبيا أو شكليا فحسب؛ بل إرادة ذاتية تتوارى خلف كل نص انتجته أيادي الجمال وكانت سببا في تشكيله، (نعمة، محمد كاظم، ٢٠١٨م، ص٤٠)، وهذا الأسلوب في التضخيم يعكس ثقافة القرن الرابع الهجري التي كانت تقدس الأسلوب الخبري كأداة سياسية فاعلة في ترسيخ السلطة.

٣-المشاركة الوجدانية والاستمالة العاطفية: مثل العبارات الواردة في قوله: "المشارك له فيما يخصه، والمساهم له فيما يمسه"؛ إذ تبرز الصابي كشريك في الفرح والسرور، لا كسارد للأخبار فقط، فهذه الاستراتيجية من شأنها أن تشعر الملك البويهي بأنَّ انتصاراته على الأعداء شخصية وجماعية في الوقت ذاته، أي دمج الذاتي بالموضوعي، مما يعمق ولاءه للمرسل، وخلق تأثير عاطفي كبير بينهما.

٤-التلميح إلى التفوق والاستمرارية، الواردة في قوله: "ولا أستقل منها بشكر ماضٍ سالف إلا ارتهنني بترقب حادثٍ مستأنف..."، فقد حول الكاتب الأسلوب الخبري إلى وعود جديدة بانتصارات قادمة، مما يحفز الملك البويهي على التوسع، وهو هنا يذكرنا بخطابات المتنبي لسيف الدولة الحمداني الذي كان يحول مديحه إلى حوافز للمزيد من الانتصارات. فعلى ما يبدو أنَّ النص الترسلي كان يمثل نموذجا مميزا لشعرية السياسة، في العهد البويهي؛ إذ أُستعملت الأساليب البلاغية ليس لنقل المعلومات والأحداث؛ بل لتأليه الملك عن طريق ربط أفعاله بالإرادة الإلهية، بصيغ ملحمية تتخلد في الذاكرة الجمعية، فتضمن ولاء الجمهور من خلال الاستمالة الرمزية والعاطفية.

الخاتمة

تميزت رسائل الصابي بتحويل الأخبار الأدارية والتاريخية إلى نصوص أدبية مميزة، عن طريق استعمال آليات بلاغية مثل: (الأساليب البلاغية، الصور البيانية، التكييف الدلالي، والانزياحات اللغوية)، مما جعلها تقترب من الشعر في إيقاعاتها ودلالاتها، فقد استعملها الكاتب لتحقيق شعرية النص النثري، نوجزها بالشكل الآتي:

١-استعمل أبو إسحاق الصابي مجموعة متنوعة من الأساليب الخبرية، مثل: (السرد التاريخي، ووالخبر الإنشائي، والتقرير المفصل، والإيجاز المعبر ، والتوكيد)، لتحويل الأخبار الجافة إلى نصوص أدبية مليئة بالتخييل والبلاغة، مع الحفاظ على التوازن بين الوظيفة الجمالية والسياسية في النصوص.

١-اعتمد الكاتب على المجازات والانزياحات لتحويل الوقائع التاريخية إلى مشاهد درامية وصور حية.

٢-استعمل الصابي التكرار؛ لتوليد إيقاع موسيقي مشابه لإيقاع الشعر، مما عزز التأثير الجمالي والعاطفي للنص.

٣-استمد الكاتب من استلهام التراث العربي والإسلامي، لتقوية حججه، وإضفاء الطابع الديني، والأدبي على رسائله، مما جعلها غنية سياسيا ودينيا.

٤-نجح الكاتب في التأثير على المتلقي الرسمي (الملك، الوزير)، عن طريق استعمال الرمزية الدينية؛ لربط انتصارات الملك بالتوفيق الإلهي، وتحويل الوقائع العسكرية إلى ملاحم تاريخية من خلال التضخيم البلاغي، فضلا استعمال المشاركة الوجدانية؛ لتعميق ولاء الجمهور عبر الاستمالة العاطفية.

٥-جمع الصابي في رسائله بين الوظيفة الجمالية: (الامتاع)، وبين الوظيفة السياسية (الإقناع)، مما جعلها نموذجا متميزا للأدب الترسلي في القرن الرابع الهجري.

المصادر والمراجع

- ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب،
- اسكندر، يوسف، اتجاهات الشعرية الحديثة، الأصول والمقالات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٢، ٢٠٠٨م.
- آمال، بلحوت، الانزياح الدلالي في أدب رسائل القرن الرابع الهجري، رسائل أبي إسحاق الصابي أنموذجا، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجزائر، مج٧، ع١، ٢٠٢٢م.
- أنقار، محمد، البلاغة والسمة، مجلة فكر ونقد، ع٢٥، س٣، ٢٠٠٠م.
- أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو القاهرة، ط٤، ١٩٩٧م.
- بن رمضان، صالح، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، مشروع قراءة شعرية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
- بن وهب الكاتب، إسحاق، البرهان في وجوه البيان، تح: د. أحمد مطلوب، و د.خديجة الحديثي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط١، ١٩٩٧م.
- الثعالبي، أبو منصور، يتيمة الدهر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م.
- جبار، سعيد، التوالد السردي، قراءة في أنساق النص التراثي، جذور للنشر، الرباط، المغرب، ط١، ٢٠٠٦م.
- جمعة، حسين، جمالية الخبر والإنشاء، دراسة بلاغية جمالية نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.
- الحسن، غانم جواد رضا، الرسائل الأدبية في القرن الرابع للهجرة، العراق والمشرق الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١١م.
- الددة، عباس رشيد، الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٠٩م.
- الزهيري، علي عزيز صالح، شعرية النص عند الجواهري ، دراسة تحليلية، اطروحة دكتوراه، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٧م.
- عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان، عمان الأردن، ١٩٨٩م).
- عبدالله، إبراهيم، السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
- عرفة، عبد العزيز، من بلاغة النظ العربي، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
- القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، ت٧٣٩هـ، تح: عبد الحميد الهنداوي، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.
- مبارك، محمد رضا، اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي، دار الكتل والوثائق العراقية، بغداد، ١٩٩٢م.
- مبارك، محمد رضا، اللغة في قلب الصراع، آفاق عربية، ع١٢، ١٩٩٠م.
- المبرد، أبو العباس (٢٨٥هـ)، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
- ناظم، حسن، مفاهيم الشعرية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ١٩٩٤م.
- نعمة، محمد كاظم، شعرية الصورة التشبيهية في نثر رسائل الموحدين وبني الأحمر، حولية المنتدى، ع١٥، ٢٠١٨م.
- ياكبسون، رومان، قضايا الشعرية، تح: محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال، المغرب، ط١، ١٩٨٨م.